

السماحة والتسامح في الإسلام

فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري

لا ريب أن لِمَقْدِم القرن الخامس عشر الهجري في عنق كل عربي وعربية . حقا لا يَمَلُ الاقتضاء . والناس لا يعرفون شرا أشر من التغاضي عن قضاء الحقوق . ولا ظلماً أظلم من المَظَلُّ بها والتسوية فيها .

وأحق الناس بمعرفة الحقوق والمبادرة إلى قضائها ، هم أولئك السادة من أئمة الثقافة ، في مجامعنا اللغوية والعلمية وفي جامعاتنا العربية والإسلامية . وعن هذا النظر المخلص ، شكرت للزميل الصديق الدكتور محمد مرسى أحمد ، الأمين العام لاتحاد الجامعات العربية ، أن رغب إليّ في أن أكتب تحت هذا العنوان ، بحثاً تفضل بنشره مجلة الاتحاد الغراء ، في استقبال القرن الخامس عشر الهجري ، استقبالا يبرز عطاء الحضارة الإسلامية دنيا الناس قيماً إنسانية شريفة ، خفاقة الأعلام ، لا يحجب وضاعتها ولا يغض من قدرها جهل الجاهلين ولا جحد الجاحدين .

ولولا حرصى على أن أظفر بالشرف العظيم الذى مهّدت السبيل إليه الأمانة العامة للاتحاد ، لاستجبت لدواعي الإخلاء إلى الراحة ، بما يسوغ لى ذلك من وقت محدود وذهن مكدود . وما أخطأ الطريق من آثر لنفسه أيسر الأمرين ، ولا تجهّم وجه المصلحة من عدل حق نفسه الخاص بحق أمته العام : فإما نهض بهما ، وإما أعرض عنهما ورضى من الغنيمة بالإياب .

وإذ قد كان استصحاب اللغة العربية حقا على الكاتب العربى لا يَمَلُ الاقتضاء ، فإن أحق الموضوعات بقضاء الحق له ، ما يكون موضعه من حكم الشريعة ، يؤيده موقعه في فقه اللغة . ونبندر القول بأن الذى يستعرض الكلمات العربية ، التى تبتدئ بحرف « السين » وتنتهى بحرف « الخاء » ، لا جرم أنه يروعه منها أنها تدور حول معنى مشترك بينها ، يتمثل في المساهلة والمياسرة . فيقول العربى : رجل مسماح من قوم مساميح ، وامرأة سمحة من نساء سماح . ومن القول في ذلك : أن فى الحق مسمحا

عن الباطل . وكذلك تقول العرب : قوس سمحة ، تواقى الرامى بها ولا تستعصى عليه . وكذلك قالوا : ملة سمحة ، بمعنى أنها خالية من الكرازة والخرج . فالكلمات من هذا القبيل تعنى المسامحة والمساهلة ، كيفما انتظمها الأساليب وحيثما اختلفت بها سبل الاشتقاق . وفى الحديث : « السباح رباح » . ومن هنا جاء وصف الإسلام بأنه الحنيفية السمحة ، لا ضيق فيها ولا شدة ولا حرج . وربما كان من الحق أن نشير الى أن الحرج الذى نفاه الله عن الإسلام ، ونفاه النظر الصحيح عن الشريعة ، لم يكن واضح المعنى فى تصور العرب الصرخاء أنفسهم ، حتى بينه لهم ترجمان القرآن ابن عباس ، حيث قال : « إنما ذلك سعة الإسلام » . فقد جاءه أحد أصحاب النبي فى ناس من قومه ، فسأله عن الحرج ، فقال له ولهم معه : أولستم عربا ؟ ثم دعا برجل من هذيل ، فقال له : ما الحرج فيكم ؟ . قال : الحرج من الشجر ما ليس له مخرج . قال ابن عباس : ذلك ، هو الحرج الذى نفاه الله عن الإسلام وهو ما لا مخرج له .

وغير ذى حاجة الى مزيد بيان ، أن السماحة الدينية الإسلامية قائمة على انتفاء الحرج عن الشريعة المباركة ، انتفاء لا يرقى إليه غبار المعارك بين ناف ومثبت ، ولا بين جاحد ومعتزف . والذى يتمثل هذا المعنى على ما ينبغي له ، يتراءى له تلك السماحة على وجهين : التزام المسلم أدب الإسلام بينه وبين نفسه ، ثم التزامه هذا الأدب بينه وبين الناس .

فأما التزام المسلم هذا الأدب فى خاصة نفسه ، فالأصل فيه قول الله - جل ثناؤه - : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق . قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » . فهذه الآية - بما انتظمته من استحثاث المسلم على الاستمتاع بفضل الله وإظهار أنعمه عليه - لا يجهل أهل العلم أنها أصل كريم ، يقوم عليه التزام المسلم أدب الإسلام فيما بينه وبين نفسه إذا أخذ هذا الأدب بحقه فيما تضمنته الآية الشريفة من قوله سبحانه : « أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى

لذا كرين». فقد انتظمت هذه الآية قاعدتين هما أشرف قواعد الاجتماع البشرى : قاعدة يقوم عليها كمال الخضوع لله . ينهيه في صدر المسلم نزوات الغرور . ويصارع بين جنبه نزعات الاستعلاء على الناس . وقاعدة أخرى يقوم عليها اهتمام المسلم بمراقبة تصرفاته وإخضاعها لسلطان ضميره . فإن كسب حسنة حمد ربه . وإن اكتسب سيئة أتبعها حسنة تحو سوءها في نفسه . كما تمحو سوءها في المجتمع الذي يعيش فيه . وإذا استقام للمسلم أن يتأدب بما انتظمته الآيتان الكريمتان من الاستمتاع بما أحل الله . في ظل وارف من مراقبة ربه ومحاسبة نفسه . فقد امتهدت بين يديه السبل إلى الظفر بأجل أنعم الله . يسعد بها في نفسه على قدر ما يسعد بها مواطنوه فيه . وما دام الأمر أمر بحث مستوعب وليس أمر مقال غاير ، فبلغ العلم أن مجلة الاتحاد الغراء ، لن يضيق صدرها الرحيب بشيء من التفصيل ، تستبين به - في هذه الكلمة - معالم السباحة الدينية في الإسلام ، يحتاج إليه المتدينون في أيامنا هذه ، احتياجاً لا يدانيه في الحاجة إليه أمر سواه .

ومن هنا يكون لنا - أو يكون علينا - أن نستصحب الموثوقين من فقهاء الإسلام في الإلمام بصور من الفقه ، يتجلى فيها التسامح الديني الإسلامي ، وتمتد بها السبل إلى تيسير التدين على المسلمين والمقبلين على اعتناق الإسلام ، في كثير من جوانب الدنيا في الشرق والغرب على سواء . فقد قرر الموثقون من أولئك السادة أن في الأخذ بالرخص الشرعية ، نفيًا للحرج الذي نزه الله عنه الشريعة ، ثم ذكروا أن الرخصة تجيء مراداً بها استباحة المحرم الذي تحله الضرورة أو تقتضيه الحاجة ، نزولاً على مقتضى القاعدة الفقهية التي تقرر أن الضرورات تبيح المحظورات ، وأن الحاجات ربما حلت محل الضرورات فأخذت حكمها في إباحة المحظورات . وسند ذلك الذي قالوه في كتاب الله وسنة رسوله ، لا يكاد يبلغه الحصر أو يطمع في الإحاطة به الاستقصاء . ومن خير ما قرروه في هذا الباب أن الرخصة إذا تعينت لدفع تلف أو إحياء نفس ، فقد وجب الأخذ بها ، بخلاف ما إذا تعينت لدفع مشقة فإن الأخذ بها - حينئذ - جائز لا واجب . ومن هنا كان للصحيح المقيم أن يتيمم ويصلي دون أن يتوضأ أو يغتسل ، إذا خاف أن يصبية الماء البارد بمرض خفيف ، استناداً إلى تجربة أو إلى خبر طيب حاذق .

ومن أفضل الوجوه التي تقرأى فيها هذه السباحة ، إباحت التيمم للعروس ، ذلك .
أن عليها أن تقيم صلاتها ، قضاء لحق ربها ، كما أن عليها أن تحافظ على زينتها ،
قضاء لحق عريسها . ولما كان استحمامها مزيلا لزينتها ، وكان تجديد الزينة إسرافا في
مال قريبها ، أباح الشارع لها أن تيمم وتصلى ، قضاء للحق وصيانة للمال ، إذا كان
الاستحمام مزيلا لزينتها من حيث هي عروس . وكذلك الأمر إذا خشيت على زينة
شعرها غسل رأسها بالماء ، فإن لها - حينئذ - أن تيمم ، ويكفيها المسح على الشعر
وبهذا يتوافر لها ولزوجها بها أمران ، تحرص الشريعة الغراء أشد الحرص عليهما ، وهما
تزنيها لعريسها ، وحفظها لماله . ذلك هو مذهب فريق من التابعين ، وذلك هو
الرأى الذى قال به ابن غازى ، وابن ناجى ، وأبو عمران من أعيان المالكية . وليس
ينكر أهل العلم أن حكم العروس ثابت للزوجة غير العروس ، من حيث كان عليها -
هى أيضا - أن تتزين لزوجها ، طلبا لحسن عشرته واستدامة نكاحه . كما أن عليها
أن تقتصد فى الانفاق ، إثارة لحفظ ماله . فعن ذلك النظر ، أبيع لها ما أبيع
للعروس ، من أداء الصلوات بالتيمم دون استحمام عند موجب من موجباته ، ما
دامت ترى أن فى الاستحمام إفسادا لزينتها . ومرد ذلك إلى القاعدة الشرعية التى تقرر
أن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما . وراجع فى هذا الباب حاشية الدسوقي على
العلامة الدردير صفحة ١٣٤ من الجزء الأول من مطبعة الحلبي ، وراجع الفتوى التى
بعث بها الشيخ المشد أمين لجنة الإفتاء بالجامع الأزهر ، وقد بعث بها إلى المركز
الإسلامى فى أوروبا ، جوابا على سؤال مدير المركز فى لندن ، وفيه يقول : يواجه
المسلمون فى إنجلترا بعض المشاكل فى حياتهم الدينية ، ومن بين تلك المشاكل الغسل
من الجنابة وما يجرى مجراها . ووجه المشقة ، صعوبة الحصول على مسكن مشتمل على
حمام خاص ، مع شدة البرد خاصة فصل الشتاء . ومع افتراض الحصول على حمام
خاص يحتوى على ماء ساخن ، لا تؤمن الإصابة بالبرد . وقد درجت السيدات على
الاهتمام بالشعر ، من حيث كان مظهرها جماليا هاما ، وكانت كثرة غسله بالماء تفسده .
والرجاء أن تبينوا لنا حكم الشرع فى هذه المسائل لسكان هذه البلاد الباردة ، حتى
يطمئن المسلمون فيها الى حياة دينية بعيدة عن المشقة والحرج . وقد أجاب الأمين العام
لمجلس الفتوى بالأزهر الشريف بما ذكرنا خلاصته آنفا .

وبقى أن نشير الى أمر لابد من الإشارة اليه في هذا الباب ، وهو استخدام النساء هنا وهناك ما يسمى « الباروكة » ، إذا دعت الحاجة إلى استخدامها لزينة أو نحوها ، فإن كثيرا من أهل العلم يحرمون ذلك على السيدات ، استنادا الى حديث يروونه : « لعن الله الواصلة والمستوصلة » . بيد أن هذا الحديث لا يصلح مستندا لهذا التحريم ، لأن له معنى غير المعنى الذى يتبادر إلى الأذهان ، وذلك أن أم المؤمنين عائشة قالت - حين عرض عليها هذا الحديث - : « ليست الواصلة بالتي تعنون ، وإنما الواصلة هى التى تكون بغيا فى شبيبتها ، فإذا أسنت وصلت شبيبتها بالقيادة » . ومع أن الإمام أحمد بن حنبل ذكر المعنى الذى قرره أم المؤمنين من أعجب ما سمع ، إلا أنه قبله ولم يعلق عليه بما يشير إلى وهن فيه ، فصار الأخذ به سائغا مقبولا ، صالحا للاحتجاج به والاستناد إليه فى باب التسامح الدينى فى الإسلام . وراجع فى هذا الحديث ، غريب الحديث لابن الأثير ، والفاائق لجار الله الزمخشري .

ومما لا ندحه عن التعرض له فى هذا البحث ، أن على المرأة أن تختضب لتجميل يديها ، استنادا الى حديث أم المؤمنين عائشة . قالت : « أومأت امرأة من وراء ستر بيدها كتابا إلى رسول الله - ﷺ - فقبض رسول الله يده ، فقال : ما أدرى أيد رجل أم يد امرأة ؟ فقالت المرأة : بل يد امرأة يارسول الله . فقال رسول الله : لو كنت امرأة لغيرت أظفارك . يعنى بالحناء » . وعن أم المؤمنين أيضا ، أن هند بنت عتبة قالت : يارسول الله ، بايعنى . فقال - صلوات الله عليه - : « لا أبايحك حتى تغيرى كفيك ، كأنهما كفا سبع » .

وهنا يذكر بعض أهل العلم ، أن فى الحديث النبوى الشريف ما يسوغ للمرأة المسلمة تزيين أظفارها ، على الطريقة المعروفة فى عصرنا « بالمانيكير » ، على أن ذلك لا يمنع من صحة الوضوء ، مهما أنكر ذلك بعض أهل العلم . إذ كانوا لا يجدون لهم حجة يستندون إليها فى ذلك الإنكار ، وإنهم ليعلمون أن الخاتم - المأذون فيه للرجال والنساء - لا يجب على المتطهر تحريكه لكى ينال الماء الجلد من تحته . كما هو مذهب مالك وأصحابه . وليس يسع المنصف أن يغضى عن الموازنة بين الجلد الذى لا يناله الماء تحت الخاتم الضيق ، وبين الظفر الذى لا يناله الماء تحت الطلاء المذكور . فإذا قد صح التطهر وجازت به الصلاة مع ضيق الخاتم ، فسافح أن يصح التطهر وتجوز

الصلاة مع وجود الطلاء ، على حين أن حاجة الجلد إلى الماء أوضح من حاجة الظفر إليه . والقياس باب من أبواب الاجتهاد في شريعة الإسلام .

تلك خلاصة ما تنطوى عليه سماحة الإسلام في تأدب المسلم بأدب الإسلام بينه وبين نفسه ، وأما تأدبه بأدب الإسلام فيما بينه وبين الناس ، فالأصل فيه قول الله - تعالى - « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . فقد انتظمت هذه الآية القرابة بين الذين أوتوا الكتاب ، انتظاماً لا سبيل إلى تجهمه أو إلى التهجم عليه ، بآية أن النبي العربي الذي وكل الله عليه تبيان الكتاب الكريم ، لم يفتأ يلتزم أدب الآية الشريفة في معرفة الحق للقرى بينه وبين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، في دعوتهم جميعاً إلى عبادة الله والعمل على رفع خسيصة الإنسان ، الذي كرمه ربه فسخر له ما في السماوات وما في الأرض ، وسخره في عبودية رب السموات والأرض ، عبودية تنفياً الحرية التابعة في صدر ذى الدين من العبودية لله ، وتنبأ العدل الذي هو الطريق الفاردة بالقدرة على دعم الأخوة بين الناس ورفع ألوية السلام بين العاملين .

واذ قد كانت السنة النبوية المطهرة بيانا للكتاب العزيز ، كان لابد من استشهادها في هذا المجال الشريف ، حتى تنقطع آمال الجانحين إلى تأويل القرآن ، تأويلاً يسترضون به الأهواء ، ويقىمون عليه جوامح العصبية .

فمن ذلك ، ما أخرجته الصحاح من كتب السنة : استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، فقال المسلم : والذي اصطفى محمداً على العالمين . وقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على العالمين . فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم وجه اليهودي . فذهب اليهودي إلى النبي فأخبره ، فقال - صلوات الله عليه - : « لا تخيروني على موسى ، فإن الناس يصعقون ، فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري : أكان ممن صعق فأفاق أو كان فيمن استثنى الله تعالى » . يشير رسول الله بهذا الحديث إلى الآية الشريفة من سورة « الزمر » : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » . فقد ذكرت الآية الشريفة أن الملك ينفخ بأمر الله في الصور يوم القيامة ، فيهلك من في السموات ومن في الأرض من الأحياء ، ثم يعود فينفخ فيه

نفخة أخرى ، فإذا هم أحياء ينظرون . ومن ثم ينبعثون إلى الحساب والجزاء على الأعمال . وقد كرم رسول الله بحديثه هذا أخاه موسى - عليهما السلام - فذكر أنه ربما لا يصعق كما يصعق سائر البشر . فإن صعق فربما أفاق قبل أن يفيق سائر المؤمنين . وإذا كان هذا الحديث تكريماً من رسول الله لموسى ، فإن في حديث آخر تكريماً ليوسف بن يعقوب - عليهما السلام - فذلك حيث يقول : « إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم » .

وحديث ثالث فيه تكريم للمسيح عيسى ابن مريم ، وفيه يقول رسول الله - ﷺ - : « ما من مولود إلا ينحسه الشيطان ، فيستهل صارخاً ، إلا ما كان من مريم وابنها » . ففي هذا الحديث الشريف ، يفسر النبي الآية التي تتحدث في صورة « آل عمران » عن أم مريم وابنتها البتول - رضی الله عنهما - : « فلما وضعها قالت ربني إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » . فهذا الحديث تبيان لهذه الآية ، وفيه من السباحة الدينية الإسلامية ، ما تتشامخ به رءوس المتسبين إلى الإسلام ، تشامخاً يقوم على الحق ويعتز بالحق ، وينشد الأخوة الدينية بين الديانات الكتابية ، أخوة تنفياً للإنسانية جمعاء حرية الديمقراطية ، التي تنبع في صدور المؤمنين من العبودية لله ، وتأييلاً لهم العدالة الاجتماعية ، التي تعلو بها - في دنيا الإنسانية - كلمة الله ، الظامئة إلى دعم قواعد العدل ورفع ألوية السلام .

- ومن التسامح الديني في الإسلام ، ما يراه الذين يتدبرون السيرة النبوية الشريفة ، من أن محمداً رسول الله ، كانت تعجبه موافقته أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء . وفي كتاب الله - تعالى - من الآيات الشريفة ، ما يجعل المسلم يقبل على ذبائح أهل الكتاب ، بمقدار ما يعرض عن ذبائح المشركين والملاحدة المعطلين . ومن شاء فليتبذر هذه الآية الشريفة من سورة الأنعام المكية : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » . وقد نهت الآية منها صريحاً عن الأكل من ذبائح الذين لا يذكر الله على ذبائحهم اسم الله تعالى ، ولكنها استثنت ذبائح أهل الكتاب ، فأباحت لذى الدين المسلم أن يأكل منها ، ولو لم يذكر الذابح اسم الله عليها ، بل إن للمسلم أن

بأكل من ذبيحة الكتاني ولو ذكر على ذبيحته اسم عُذْبَر أو اسم المسيح ، فذلك حيث قال الإمام القرطبي في تفسيره سورة المائدة ، ما تؤثر أن ننقله هنا كما رواه ، حيث روى عن ابن عباس قوله :

قال الله - تعالى - : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ، ثم استثنى فقال : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » . يعنى ذبيحة اليهودى والنصرانى ، وإن كان النصرانى يقول عند الذبح : باسم المسيح ، وكان اليهودى يقول عند الذبح : باسم عُذْبَر ، وذلك أنهم يذبحون على الملة . وقال عطاء : كل من ذبيحة النصرانى وإن ذكر على الذبح اسم المسيح ، لأن الله - جل وعز - قد أباح ذبائحهم ، وهو يعلم ما يقولون .

وقد اقتدى برسول الله أصحابه والمسلمون من بعدهم على اختلاف بيئاتهم ، إلا قليلا من أولئك الذين خضعوا لحكم العنجهانية أكثر مما خضعوا لأدب الإسلام . وفى طليعة أولئك السادة الذين أحسنوا الاقتداء برسول الله ، أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، فإنه حين بلغ القدس الشريف فاتحا ، زار كنيسة القيامة ، فلما حانت صلاة الظهر ، دعاه الرئيس الدينى « صفرينوس » إلى أداء صلاته فى الكنيسة ، غير أن عمر اعترض ، ذاكرا لرجل الدين المسماح أنه يخشى إن هو صلى فى الكنيسة ، أن يجيئ المسلمون بعد ذلك فيدعوا ملكيتها أو ملكية الجزء الذى أدى فيه صلاته ، فتكون فتنة يصلى ناراها المسلمون والمسيحيون على سواء . ثم انتقل رضى الله عنه فأدى صلاته فى موضع آخر ، بنى فيه مسجد يدعى « مسجد عمر » وليس يعرف الناس لذى سلطان خلقا أسمى من هذا الخلق الشريف ، ولا نظر أبعد من هذا النظر البعيد . ثم لما فتح الله - تعالى - لعمر العراق ، هرب قبيلة « إباد » المسيحية الى أرض الروم ، فكتب إلى هرقل يطلب إليه أن يرد القبيلة إلى أرضها التى نشأت فيها ، لتعيش عليها آمنة مطمئنة فى ذمة الله وذمة رسوله . ولم يسع هرقل إلا أن يستجيب فعادت القبيلة إلى ديارها ، وعلى العراق - آنئذ - الوليد بن عقبة ، الذى استبدت به عنجهية المعتز بعرقه وعقيدته ، فأبى على قبيلة « إباد » العربية إلا أن تعتنق الإسلام ، ولكن أمير المؤمنين عمر لم تعجبه شدة واليه ، فعزله عن العراق .

وعلى هذه السنة الشريفة مضى خلفاء الإسلام وأمراء المسلمين ، حتى إذا جاء

الخليفة المتوكل العباسي ، أخذ يحاسب النصارى على تهاونهم في أمر دينهم ، فأمر بجلد طبيبه المسيحي الذي أهان صورة العذراء البتول ، ثم حبسه مبالغة في التنكيل به ، لقاء ما فرط في جنب الله ، باعتدائه الآثم على ما ينبغى لأُم المسيح من توقير وتكريم ولم يكن هذا التصرف الشريف من الخليفة المتوكل وليد هرج سياسي ، ولكنه كان صدى تسامح إسلامي كريم .

وعلى هذه السنة مضى الحكم بن الناصر من خلفاء الأندلس ، فأمر بصلب أحد عماله لأنه ظلم ذميا من اليهود أو المسيحيين الذين كانوا في الأندلس تحت سلطان الأمويين . حتى الأتراك ، الذين يراهم التاريخ - دائما - غلاظ الأكباد تستبد بهم كبرياء السلطان ، كان فيهم فضلاء أحسنوا القدوة بالأسلاف الصالحين ، بآية أن الترك حين استولوا على جزيرة «كريت» ، أخذ أهل الجزيرة يناصرون أهل البندقية المسيحيين على الأتراك المسلمين الفاتحين . فأراد السلطان العثماني إبراهيم أن يقتل المسيحيين من أهل الجزيرة ، جزاء انتصارهم للمسيحيين على المسلمين . غير أن المفتي الجليل «أسعد زادة» ، عارض السلطان أشد ما يعارض صاحب عقيدة مستبسلة صاحب سلطان مستبد ، حتى لقد هددته بخلعه من الخلافة إن هو استمر على اضطهاده المسيحيين .

ولم يزل البصراء بروح الإسلام يعملون على التذكير بهذه القرابة بين أهل الديانات الكتابية ، نزولا على حكم كتاب الله ، وتأدبا بأدب رسول الله ، وحرصا على القدوة بالأسلاف الطيبين ، حتى جاء الأستاذ الإمام محمد عبده ، الذي لا ينسى الناس أنه كان في لبنان يقرأ درسا في الجامع الكبير في بيروت ، فيدعو إلى حضور هذا الدرس المسلمين والمسيحيين ، كما كان يفعل ذلك في الجامع الأزهر الشريف ، فيحرص على أن يستمع إليه في دروسه المسلمون والمسيحيون .

تلك وثائق سماحة الإسلام وتسامحه ، تستند إلى كتاب الله ، وسنة رسوله ، والأخيار من الأسلاف الصالحين . وهي - على ما ترى - وثائق لا يستطيع الاحتيال عليها بتأويل أو تعطيل ، من يحترمون الحق ، ويؤثرون شرف العدل والإنصاف ، على خسة الجور والميل والاعتصاف . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .